قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

مقصود هذه القاعدة: بيانُ غِلَظِ شِرْكِ أهلِ زمانِ المصنِّف فمَنْ بعدَهم مِن المُتَأَخِّرين، وأنَّهم (أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ).

ومَنْفعةُ تقرير غِلَظه: الإعلامُ بأنَّهم أَوْلَى بالتَّكفير والقِتال مِن المشركين الأَوَّلين؛ وهو المُصَرَّح به في كتاب المصنِّف الآخر «كَشْف الشُّبهات».

وذِكْرُ (المشركين) تَعيينٌ للكُفر الَّذي وُصِفُوا به قَبْلُ في قول المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فإنَّه يعني الكُفَّارَ الَّذين كفروا بالشِّرْك.

ومجموع الأدِلَّة الشَّرعِيَّة والوقائع القَدَرِيَّة يَدُلُّ أَنَّ شِركَ المُتأخِّرين أعظمُ من شِرْك الأوَّلين مِن اثنيْ عَشَر وَجْهًا:

فالوَجْه الأَوَّل:

- أَنَّ (**الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ**).

- **وأَمَّا المُتَأَخِّرون**: فيُشْرِكونَ في الرَّخاء والشِّدَة.

ذَكَر هذا الوَجْه المُصَنِّف في «القواعد الأربع»، وفي «كَشْف الشُّبُهات» أيضًا. وذَكَره بعده جماعةٌ؛ منهم: سليمانُ بنُ عبد الله، وعبد الرَّحمن بنُ حسنٍ، وعبد الله أبا بُطَيْن، وسليمانُ بن سِحمانَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والوَجه الثَّاني:

- أَنَّ **الأَوَّلين** كانوا يَدعُون مع الله خَلْقًا مُقَرَّبين من الأنبياء والملائكة والأولياء، أو يَدْعُون أشجارًا وأحجارًا ليستْ عاصيةً.

- **وهؤلاء المتأخِّرون** يدعون مع الله الفُسَّاقَ والفُجَّارَ.

ذَكَر هذا الوَجهَ المُصَنِّفُ في «كَشْف الشُّبهات»، وعَصْرِيُّه محمَّدُ بنُ إسماعيلَ الصَّنعانِيُّ في «تطهير الاعتقاد».

ومنشأ دعوتِهم أولئك الفُسَّاق مع مُشاهدتِهم فجورَهم وفِسقَهم: أَنَّهم كانوا يخافون شَرَّهم وضُرَّهم؛ فيَتوجَّهون إليهم بما يَتَوجَّهونَ مِن أعمالهم.

والوَجْه الثَّالث:

- أَنَّ الأَوَّلين يعتقدون أَنَّ ما هُم عليه مُخالِفٌ دعوةَ الأنبياء والرُّسُل؛ فإِنَّهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]؛ فلا يجتمعُ عندَهم دينُ الأنبياء والمرسَلين ودينهم الَّذي هُم عليه.

- **أَمَّا المُتَأَخِّرون**: فإنَّهم يَدَّعون أَنَّ فِعْلهم مُوافِقٌ دعوة الأنبياء والمرسلين.

ذَكَر معنى هذا الوَجه عبدُ اللَّطيف بنُ عبد الرَّحمن في «رَدِّه على داود بن جَرْجِيس».

❁ **والوَجه الرَّابع**:

- **أَنَّ المشركين الأَوَّلين** كانوا لا يُشركون بالله في شيءٍ من الملك والتَّصَرُّف الكُلِّيِّ العام؛ بل كانوا يقولون في تلبيتهم: (لَبَّيك لا شريك لك، إلَّا شريكًا تملكه وما مَلك)؛ فَهُم يَرَوْن أَنَّ التَّصَرُّف والملك الكُلِّيَّ هو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَحده.

- **أَمَّا المُتأخِّرون**: فقد جعلوا لِمَنْ يُعَظِّمونه مِلْكًا وتَصَرُّفًا في الكون، وقصدُوهم على أَنَّ لهم تدبيرًا في العالَم؛ وهذا شِرْكٌ لم تعرفه الجاهلِيَّة الأُولى.

ذَكَر معنى هذا الوجه عبدُ الله بنُ فيصلِ بن سُعودٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واعْتَبِرْ هذا فيما ينقُلُونه عن بعض ما يُعتقَد في مُعَظَّمِ مصرَ أَنَّه لا تدخل نملةٌ واحدةٌ مصر حَتَّى يأذن لها، فكيف بِبَقِيَّة المخلوقات؟! وهذا التَّصرُّف والملك الكُلِّيُّ لم يكن عليه أهل الجاهِلِيَّة الأُولى.

❁ **والوجه الخامس**:

- **أَنَّ كثيرًا من المُتَأَخِّرين** قَصدوا معبوداتِهم من دون الله على جهة الاستقلال.

- **أَمَّا الأَوَّلون**: فَقَصدوا معبوداتِهم لِتُقَرِّبَهم إلى الله؛ فهي عندهم شُفعاءُ ووسائطُ.

❁ **والوجه السَّادس**:

- **أَنَّ عامَّة شِرْك الأَوَّلين** في الألوهِيَّة، وهو في غيرها قليلٌ.

- **أَمَّا المتأخِّرون**: فشِرْكُهم كثيرٌ في الألوهِيَّة، والرُّبوبِيَّة، والأسماءِ والصِّفات.

فأنتَ تجدُ مِن المتأخِّرين مَنْ أَنْشَدَ فقال لِمُعَظِّمِه:

مَا شِئتَ لَا مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ فَاحْكُم فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ

هذا يُخاطِبُ به مخلوقًا من المخلوقين!

والوَجْه السَّابع:

- **أَنَّ المتأخِّرين** يزعمون أَنَّ قَصْد الصَّالحين ودعاءهم والتَّوجُّه إليهم مِن حَقِّهم، وأَنَّ تَرْكه جَفَاءٌ لهم وإزراءٌ بِهم.

- **ولم يكن الأَوَّلون** يذكُرون هذا.

والوجه الثَّامن:

- **أَنَّ المشركين الأَوَّلين** كانوا مُقِرِّين بِشِرْكِهم، كما تَقَدَّم في تلبيتِهم ويقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨].

- **وأَمَّا المُتأخِّرون**: فإِنَّهم لا يُقِرُّون بشِرْكهم، ويُسَمُّون رغبتَهم إلى مُعَظَّميهم: (مَحَبَّةً)؛ فيزعُمون أَنَّهم يُحِبُّون الأولياءَ، وهُم يدعونَهم ويقصدونَهم ويَتَوجَّهون إليهم.

والوَجه التَّاسع:

- **أَنَّ المشركين الأَوَّلين** كانوا يرجون آلهتَهم في قضاء حوائج الدُّنيا؛ كَرَدِّ غائبٍ، وشفاء مريضٍ، ولا يجعلونَهم عُدَّةً ليوم الدِّين؛ لإنكارهم البَعْث، أو اعتقادهم أَنَّ لهم مقامًا ينالون به ما يُريدون.

- **أَمَّا المُتأخِّرون**: فإِنَّهم يُرِيدون من مُعَظَّميهم قضاءَ حوائج الدُّنيا والآخرة.

ذَكَر معنى هذا الوَجه حَمدُ بنُ ناصرِ بنِ مُعَمَّرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ والوجه العاشر:

- **أَنَّ المشركين الأَوَّلين** كانوا يُعَظِّمون الله ويُعَظِّمون شعائره.

- **بخلاف المُتأخِّرين**؛ فلا يُعَظِّمون الله، ولا يُعَظِّمون شعائره.

فكان الأَوَّلون يُعَظِّمون اليَمينَ بالله، ويُعِيذُون مَنْ عاذَ ببيتِ الله، ويعتقدون أَنَّ البيت الحرامَ أعظمُ مِن بيوت أصنامهم.

أَمَّا المتأخِّرون: فإِنَّهم بضِدِّ هذا:

يُقسِم أحدهم بالله كاذِبًا ولا يُقدِم على الإقسام بِمُعَظَّمه، ولا يُعِيذُون مَنْ عاذ بالله وببيته ويُعيذون مَنْ عاذ بُمعَظَّميهم، ويعتقدون أَنَّ العكوف عند القبور والمَشاهَد أعظم من الاعتكاف في المساجد.

وأكثرُهم يرى أَنَّ الاستغاثةَ بِمُعَظَّمه أَنْجعُ وأسرعُ جوابًا مِن الاستغاثة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

ولذلك مِن غرائب الحكاياتِ الَّتي تُبَيِّن مثل هذا: ما حَكاه لي أحدهم أَنَّه رأى عجوزَيْن تمشيان بين يديه، تقدُمَان إلى حافلةٍ ليَرْكَبا، فتَعَلَّقت إحداهُما بمقبض دَرَجِه لأجل الصُّعود ثُمَّ اعتمدت عليه وقالت: (يا عليُّ!) فَعَابت عليها الأُخرى وقالت لها: (اتركي عَلِيًّا للشَّدَّات)! يعني اتركي عليًّا للأمور العظيمة، فهذا أَمْر هَيِّنٌ وعَلِيٌّ يُطلَب للأمور العظيمة!

ولـذلك لا يعـرِف قُبحَ هـذا وفُشُـوِّه في النَّـاس إلَّا مَـنْ خَـالَطَ بـلادًا فيهـا مثـلُ هـؤلاء المشركينَ - نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أَنْ يُطَهِّر بلاد المسلمين من الشِّرك وأهله.

۞ **والوَجه الحادي عشر:**

- **أَنَّ المشركين الأَوَّلين** لم يكونـوا يطلبُـون مِـن آلهـتهم كُـلَّ مـا يُطلَـب مِـن الـرَّحمن؛ فلَهم مَطالَب لا يطلبونَها إلَّا من الله.

- **أَمَّـا المشـركون المُتَـأخِّرون**: فَعَكسـوا الأمـرَ؛ فَلهُـم مَطالـب لا يطلبونَهـا مـن الله ويطلبونَها من مُعَظَّميهم!

ذَكَره ابن تيميَّةَ الحفيدُ.

۞ **والوجه الثَّاني عشر:**

- **أَنَّ المتأخِّرين** من المشركين فيهم مَنْ يزعم أَنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتجلَّى في صُوَرٍ من المخلوقات! فيَرَوْن في أحدٍ من مُعَظَّميهم صورة الله! - تعـالى الله عَمَّـا يقولـونَ -؛ كما قال أحد مُقَدَّميهم:

الـــرَّبُّ عَبْـــدٌ والعَبْـــدُ رَبٌّ   يَـا لَيْـتَ شِـعْرِي مَـنْ المُكَلَّـف

تعالى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن هذه المقالات الرَّديئة.

- **ولـم يكـن أحـدٌ مـن المشـركين الأوَّلـين** يعتقـدُ أنَّ الله يتجلَّى في صـورةِ غيرِه مـن المخلوقات.

ذَكَر هذا الوَجهَ ابن تيميَّةَ الحفيدُ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى.

فهذه الوجوهُ الاثنا عشرَ تُبَيِّنُ شِدَّةَ شِرْك المتأخِّرين، وغِلَظه، وقُبْحَه، وشُؤمَ أَثَره على

النَّاس، وأَنَّ ما فاتَهم من سِعةِ الدُّنيا وأَمْنِها وحُسْنِ حالِهم هو بِفُشُوِّ الشِّرْك في بلاد المسلمين.

فالواجب على طالب العِلم: أَنْ يجعل عُظْمَ دعوتِه وأكثرَ نِياطَ قلبِه هو إصلاح النَّاس في دعوتِهم إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتَّحذير من الشِّرك؛ لئلَّا يُخلَف هو في بيته بِمَنْ يكون من ذُرِّيَّته من المشركين إذا أهمَلَ دعوةَ النَّاس إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وضَعُفَ فيها.

وقد رأينا هذا في أُناسٍ كان أجدَادُهم مِن أهل التَّوحيدِ السَّاعِين في طباعِة كُتبِه، ثُمَّ صار من الأحفاد مَنْ هو مِن دُعاة الشِّرْك! والإنسان يُحفَظ في نفسه وذُرِّيَّته بقَدْر ما يحفَظ مِن أَمْر رَبِّه.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا وإيَّاكم بتوحيده وأَنْ يحفظ بلاد المسلمين بالتَّوحيد والسُّنَّة.

وهذا آخر البيان على هذا الكتاب بما يُناسب المقام.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ

بعد العشاء ليلة الثُّلاثاء التَّاسع والعشرين من ربيع الآخر

سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ

فِي المسجدِ النَّبويِّ بمدينة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ